الشعبية ؟ وهل تقصر تعاملها على الانظمة العربية وقممها واجهزتها ، ام تقصر هذا التعامل على القوى والاحزاب الوطنية في هذا القطر او ذاك ؟ ومما زاد في صعوبة الموقف ، ولا سيما في الستينات ، ما كان على السطح السياسي القومي من خلافات واختلافات بين هذه الانظمة ·في هذه الفترة كانت تصنيفات الانظمة :هذا وطني وذاك رجعي ، حادة في مواصفاتها ، وواسعة في شعبيتها ·

واتضح من خلال مراقبة التجربة التي خاضتها المقاومة ، انها اختارت طريقا بين بين · طريقا يمكن وصفها بانها طريق « التعامل » مع الانظمة الرسمية، و « التفاعل » مع القوى الوطنية والتقدمية القائمة داخل هذه الانظمة · وكلنا يدرك الان خطورة الحساسيات التي كانت تحيق بهذه الطريق ، خصوصا بعد ان تفجر منها ما تفجر سواء في الساحة الاردنية ام في الساحة اللبنانية ·

لم تكن تلك، الطريق الصعب وحسب ، انما كانت الطريق الاصعب · لكن هل كان للمقاومة خيار ؟

لقد كانت منظمة « فتح » بالذات اول من بادر ، من بين جميع القوى الفلسطينية الى تجاوز التصنيفات القائمة في الستينات للانظمة العربية ، فرفضت ان تكون « التقدمية والرجعية » هي المعيار الذي يحدد علاقاتها مع الانظمة العربية · وتقدمت بمعيار جديد يعتمد موقف هذا النظام او ذاك من كفاح الفلسطينيين المسلح كدلالة على تقدميته او رجعيته ، على وطنيته او انهزاميته · وتحملت « فتح » في سبيل تثبيت هذا الشعار العديد من السهام التي اطلقت عليها من جهات فلسطينية وعربية على حد سواء · ولكنها استطاعت ان تصمد وان تثبت هذا الشعار وان تقود وراءها اكثرية القوى الفلسطينية على هذه الطريق دون ان تحاول فرضها على الجميع ، بدليل استمرار تعاونها مع الفصائل التي رفضت هذا المعيار واستمرت في اعتماد التصنيفات القديمة القائمة على التقييمات الايديولوجية للنظام الاجتماعي لهذا القطر العربي وغيره ، كمعيار لها ·

ولكن ما بين اوائل الستينات واواسط السبعينات جرت مياه كثيرة تحت الجسور العربية وطرأت متغيرات جذرية ، وتغيرت تحالفات وتبدلت موازين قوى·

في هذه الفترة ، قامت حرب ١٩٦٧ وما جرته من ذيول · وانتهت حرب القومية العربية في اليمن ، واقيمت مصالحات بين الانظمة ، واستمر العمل الفدائي بالقتال ووقع الصراع في الاردن وخرجت المقاومة من ساحتها الاستراتيجية هناك ، ومات عبد الناصر ، وتحولت الاوضاع في مصر وسوريا وليبيا ، وقامت حرب تشرين وبرزت اهمية النفط، وتضعضع التحالف العربي السوفياتي،ووقعت حرب اهليةفي لبنان و··· وغير ذلك كثير مما اضاف الى محاذر الطريقالتي اعتمدتها المقاومة